

— بضاعي تبادلي (استعمال النقود بدلا من المقايضة) . فبدأ الصراع بين طبقة يهودية منهارة وطبقة مسيحية صاعدة وانتهى مع القرن الثالث عشر الى صراع بين العمال والإجراء والعيبد المسيحيين وبين المرابين والتجار يهودا ومسيحيين .

ولا بد هنا من التطرق الى نقطة على قدر كبير من الاهمية ، اثارها المؤلفة لتضع العداء لليهود عبر ممارستهم الربا ضمن ظروف اجتماعية واقتصادية متكاملة لمرحلة تحول تاريخي معين وفي فترة منية محددة . وهي بذلك تناقض الذين عالجوا هذا الجانب من الكتاب للماركسيين كصادق جلال العظم وابراهيم ليون . فباعقداها ان كراهية اليهود لممارستهم الربا لم تتبع من اعتبارها ممارسة لا اخلاقية يحرمها الدين المسيحي ، اذ ان الكنيسة نفسها والمؤسسات المالية المسيحية كانت هي ايضا تمارس الربا في القرون الوسطى، بل نتيجة الصراع بين المؤسسات والبيوتات المالية المسيحية الناشئة وبين المرابين اليهود المرتبطين بالنظام الاعطاي المتهار ، وقدرة الكنيسة ورجالها والمؤسسات المالية على توجيه السخط ضد اليهود للتخلص من منافستهم ، وخاصة وان العديد من العامة كان يدين للمرابين اليهود بهذا القدر او ذاك .

فالمشكلة اليهودية في اوربوا الغربية تنحصر فيها بين القرن الثاني عشر والخامس عشر تقريبا ، بينما نلاحظ ان يهود اوربوا الشرقية في الفترة نفسها كانوا يتمتعون بكافة الامتيازات التي تمتع بها يهود اوربوا الغربية ، نظرا لاستمرار النظام الاعطاي هناك . حيث ان عهد المرابي اليهودي قد انتهى مع نهاية القرن الخامس عشر في اوربوا الغربية (ما عدا هولندا) ثم تم طرد هذه الطبقة من اليهود ، فانتقل دورها الى اوربوا الشرقية .

وفي الفصل الثالث نتكلم المؤلفة حول — بروز الصهيونية وعلاقتها بالمشكلة اليهودية ، والدولة اليهودية ، فنتحدث بالتالي عن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في اوربوا فيما بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر ، وحرمة تحرر اليهود من الغيتو ، ثم تراج على دور رأس المال اليهودي في التطور الصناعي وحث الحركة الاستعمارية وصولا الى الواقع الاجتماعي للتجمعات اليهودية

يسيطرون على الميدان التجاري والمالي والاقتصادي في اوربوا الغربية . ويذكر ديورانت ان « التجارة الدولية كانت عملا تخصصوا فيه ، وكادوا يحتكرونه قبل القرن الحادي عشر ، فكانت اعمالهم وقوافلهم وسفائنهم تجتاز الصحراوات والجبال ، والبحار ... وكانوا هم حلقة الاتصال التجاري بين بلاد المسيحية والاسلام وبين اوربوا وآسيا ، وبين صقلية والدول الغربية ، وكانوا هم القائمين بمعظم تجارة الرقيق .. » .

اما من الناحية الاجتماعية والسياسية فكان اليهود يتزاوجون والمسيحيين ، ويتمتعون بالاستقلال في شؤونهم الداخلية ، وتوصلوا الى المناصب الكبرى في عدد من الدول الاوروبية ، خاصة اسبانيا المسيحية . ولم يفرض عليهم العيش في مناطق او احياء محددة ، لكنهم هم من فضل ذلك لتسيير شؤونهم الدينية والدنيوية ، وتمتعوا بمخايم خاصة مثل بقية طبقات مجتمع القرون الوسطى . كما حظوا بحماية الكنيسة المسيحية ورعايتها اكثر مما تمتع به المسيحيون انفسهم ابان محاكم التفتيش .

فسقوط الامبراطورية الرومانية ، ونشوء النظام الاعطاي في اوربوا الممثل في طبقتين : طبقة السادة — ملاك الارض ، وهي التي احتكرت التجارة والصناعة ، وطبقة العبيد الارقاء ، اديا الى تعزيز الدور الاقتصادي لليهود . غير ان بدء بزوغ الاقتصاد البضاعي ، وشروع انهيار نظام الاقتصاد الطبيعي الاعطاي ، ودخول اعداد متزايدة من مئات الالاف الذين تحروا وتحولوا الى عمال جراء الى ميزان التجارة لسد حاجاتها المادية ، كان العملية البهلوية التي مهدت لولادة طبقة تجارية اوربوية مسيحية بلغت في القرن الحادي عشر حدا معيناً من القوة قادها الى الصدام مع التجار والمرابين اليهود بوصفهم كيانا ملازما للنظام المتداعي فكان عليه ان يرافقه بالانحسار . وبلغ هذا الصراع اوجه ابان القرن الثالث عشر بعد تكون شريحة اجتماعية مسيحية جديدة هي شريحة المرابين المسيحيين . فتكون المشكلة اليهودية في تلك الفترة نتيجة طبيعية لاشتداد الصراع الطبقي مع انتقال مجتمع اوربوا الغربية الاعطاي الى بداية نظام رأسمالي تجاري